أثر التفسير اللغوي في تأويل القراءات القرءانية
قراءة في كتابي سيبويه والأخفش

الطالب: معمّر شباب
الأستاذ الدكتور: الجيلالي سلطاني
كليّة العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية
جامعة أحمد بن بلة – وهران1

ملخص:

القراءات القرءات القرآنية من أهم الموضوعات التي يتناولها الدارسون لتعلقها بكتاب الله تفسيرا وبيانا، فالقرآن والقراءات أصلا اللغة الصحيحة، والاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي الى تناقض أو تضاد في المقروء، بل القرآن كله على تنوع قراءته يصدق بعضه بعضا ويفيد الإعجاز بتعدد القراءات، وفي هذا لنا وقفة مع سيبويه والأخفش رحمهما الله دراسة وتحليلا، مبينا أثر التفسير اللغوي في تأويل القراءات القرآنية.

الكلمات المفتاحية: سيبويه؛ الأخفش؛ الكسائي؛ تأويل القراءات؛ العدل؛ الاعتزال.

Summary:

Quren readings is one of the most important subjects that students has to deal with , for it attachement with Allah's book explanation, and statement . Quren and readings are the root of the correct language , And the difference in readings doesn't lead to contradiction or contrariness in reads .But the whole quren on its different readings is correct . The miracles are specialized with multiple readings , And for this , we have a stand with Sibaweeh and EL-Akhfash " may Allah put his mercy upon them " for studying and analyzing the effect of the linguistic explanation in interpretation of the quren readings.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

أما بعد:

لا شك أنّ القراءات القرآنية من أهم الموضوعات التي يتناولها الدارسون لتعلقها بكتاب الله تفسيرا وبيانا، ومن أعظم ما صُرِفت فيه الأوقات وأَكْرم مَا جُنِدتْ له الطاقات ما يَخْدِمَ البحوث المتعلقة بكتاب الله الكريم وسنة رسوله الأمين لأنهما مصدرا التشريع أساسا وإليهما المرْجَع في الأحكام الشرعية أصولا وفروعا، ومن هذه البحوث القراءات التي وردت إلينا متعددة، فمنها ما هو متفق على تواترها ومنها ما هو مختلف فيها ومنها ما فقدت خاصية التواتر لأنها نقلت إلينا بطريق الآحاد وهي التي يسميها العلماء بالقراءة الشاذة.

فالقرآن والقراءات أَصَلاَ اللغة الصحيحة وأَصْلَحَاهَا وهَذَبَاهَا، فجمع الأمة الإسلامية على لسان واحد.

هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض أو تضاد في المقروء بل القرآن كله على تنوع قراءاته يَصْدَقَ بعضه بعضا، ويَشْهَدَ بعضه لبعض على نمط واحد في علو الأسلوب والتعبير، وهذا يفيد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات والحروف ومعنى، وفي هذا لنا وقفة مع سيبويه والأخفش رحمهما الله دراسة وتحليلا مبينا أثر التفسير اللغوي في تأويل القراءات القرآنية.

أثر التفسير اللغوي في تأويل المعنى عند سيبويه:

لقد وضع "سيبويه"[1] قواعده المعيارية لضبط اللغة من خلال كلام العرب شعرا ونثرا، ثم قام بعرض الآيات القرآنية على هذه القواعد، فما وافقها عد شاهدا، وما خالف أوِّل، فالقاعدة النحوية تمنع العطف

(1) سيبويه هو أبو بشر أو "أبو الحسن" عمرو بن عثمان بن قمبر ولد في البيضاء قرب شيراز، وكان مولى بن الحارث بن كعب فقدم إلى البصرة وأكمل دراسته وأتم كتابه بها، وروى أنه جلس في حلقات التدريس بمرور ونيسابور وجرجان، وسمي بن نديم في الفهرست خمسة كتب لها منها كتاب الأمثال، وكان سيبويه الفارسي أشهر التلاميذ الخليل وتوفي عن نيف وأربعين سنة وقيل ثلاث وثلاثين سنة وذلك سنة 177هـ-793م، أخذ النحو عن الخليل وهو أستاذه وعن عيسى بن عمرو وعن يونس وعن غيرهم وأخذ اللغات عن أبي الخطاب الأخفش الكبير وغيره، وعمل كتابه الذي لم يسبقه أحدا قبله ولم يلحق به أحد بعده، يقول بن نديم: قرأت بخط أب العباس :اجتمع على صنعة كتاب سيبويه اثنان وأربعون إنسانا ومنه سيبويه والأصول والمسائل للخليل"، كان المبرّد إذا أراد إنسان أن يقرأ على كتاب سيبويه يقول له: "هل ركبت البحر" تعظيما واستصعابا لما فيه وكان المازني يقول: من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد سيبويه فليستحيي". لمزيد من

على اسم إن الرفع قبل استكمال الخبر كما تمنع توكيد اسمها بالرفع قبل استكمال الخبر أيضا وقد نص سيبويه على ذلك عندما قال: "واعلم أن ناسا من العرب يغلطون فيقولون: إنهم أجمعون ذاهبون، وإنك وزيد ذاهبان"[1] مثلا: في قوله تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[2] إذ عطف "**الصابئون**" على موقع إن قبل تمام الخبر وهو قوله:﴿**مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾.

وقد قرأ "أبيّ بن كعب وابن أبي كثير بنصبها"[3] ولهذا كان لابد من التأويل في هذه القراءة فجعل قوله عز وجل "الصابؤون" على التقديم والتأخير وليس معطوفا على اسم إن قبل استكمال الخبر، كأنه ابتدأ على قوله: "الصابؤون" بعدما مضى الخبر[4].

والتقدير فيها: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصائبون والنصارى كذلك وذلك على قول الشاعر بشر بن أبي حازم:

وإلاّ فاعْلَمُوا أنَّا وأنْتُمْ بُغَاةٌ ما بَقِينَا في شقاقِ[5]

والمعنى كأنه قال: بغاة ما بقينا وأنتم[6].

التفصيل ينظر ابن نديم، الفهرست، ص 320. كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحميد النجار، دار المعارف بمصر، ط2، ج2 ص 134-138.

(1) سيبويه الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، دار الجبل بيروت لبنان، ط 1،1411هـ -1991م ج2 ص155.

(2) سورة المائدة، الآية 69.

(3) الزمخشري، تفسير الكشاف، مطبعة دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دون ط، ج1 ص661.

(4) سيبويه، الكتاب، ج2 ص155

(5) بشر بن حازم الأسدي، يخاطب بن ضيء ويتوعدهم بما صنعوا بآل دار حلفاء بني أسد.

وإذا جزت نواصي آل بدر فأدوها وأسرى في الوثاق

وإلا فـاعلموا أنـا وأنتم بغاة ما بقينا في الشقاق

(6) سيبويه، الكتاب، ج2 ص156

ويقول الزمخشري في تأويل النص "...فإن قلت: ما التقديم والتأخير إلا لفائدة، فما فائدة هذا التقديم؟ قلت: فائدته التنبيه على أن الصائبين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح، فما الظن بغيرهم، وذلك أن الصائبين أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا وما سموا صابئين إلا لأنهم صبئوا عن الأديان كلها أي خرجوا، كما أن الشاعر قدم أو غل قوله: "وأنتم" تنبيها على أن المخاطبين في الوصف بالبغاة من قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو "بغاة" لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم مع كونهم أوغل فيه منهم وأثبت في البغي قبلهم مع كونهم أوغل فيه منهم وأثبت قدما، فإن قلت: فلوا قيل والصابئين وإياكم لكان التقديم حاصلا، ولا إزالة فيه عن موضعه، وإنما يقال المقدم ومؤخر للمزالي لا للقار في مكانه"[1].

ووفقا للقاعدة التي تنص على أنه ليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحقق رفض سيبويه تحقيق ابن أبي إسحاق وغيره الهمزتين ووصفه بالرداءة.

يقول: "واعلم ان الهمزتين إذا التقيا وكانت كل واحدة منهما من كلمة، فإن أهل التحقيق يخففون إحداهما ويثقلون تحقيقهما لما ذكرت لك، كما استثقل أهل الحجاز تحقيق الواحد فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا، ومن كلام العرب تخفيف الأولى وتحقيق الأخرى وهو قول أبي عمرو وذلك قوله تعالى: ﴿**جَاءَ أَشْرَاطُهَا**﴾[2] و﴿**يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ**﴾.[3]"

كما رفض قوم أهل الحجاز وصفهم بأهل التحقيق "يحققون نبيء وبريئة، وذاك قليل رديء فالبدل هنا كالبدل في "منساة"[4] وليس بدل التخفيف وإن كان اللفظ واحد"[5].

وتحقيق البرية قراءة ابن أبي عامر[6] وتحقيق همزة النبيين قراءة نافع[7].

---

(1) الزمخشري، الكشاف، ج1 ص661.

(2) سورة محمد، الآية 18.

(3) سورة مريم، الآية 7.

(4) منساة: وإنما أصلها منسأة وقد يجوز في ذا كله البدل حتى يكون قياسا متلئبا أي مستتبان"، سيبويه، الكتاب، ج3 ص554.

(5) المصدر نفسه، ج3 ص555.

(6) ينظر ابن زنجلة، حجة القراءات، ص69.

(7) المصدر نفسه، ص98-99.

ولا شك أنّ تحقيق الهمزة لا دخل له في المعنى ولكن صنيع سيبويه مع القراءات أصبح منهجا اتبعه النحويون من بعده.

وقد منع سيبويه العطف على الضمير المخفوض بدون إعادة حرف الجر وعد هذا من قبيل الضرورة الشعرية كما في قول الشاعر:

فاليومَ قرَّبتَ تَهْجُونَا وَتَشْتِمُنَا فَاذْهَبْ فَمَا بكَ والأَيَّامِ من عَجَبِ[1]

بعطف الأيام على الضمير المخفوض في بك.

مع وجود هذا الاستعمال في قراءة متواترة صحيحة وهي قراءة النخعي وقتادة والأعمش وإبراهيمي لقوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾[2] بجر "الأرحام" عطفا على الضمير المخفوض في "**به**"[3].

ويقول ابن خالويه: "والأرحام بالنصب والخفض، فالحجة لمن نصب أنه عطفه على "**الله**" تعالى وأراد: واتقوا الأرحام أي لا تقطعوها فهذا وجه القراءة عند البصريين لأنهم أنكروا الخفض واحتجوا للقارئ بأنه أضمر الخافض واستدلوا بأن "العجاج"[4] كان إذا قيل له: كيف تجدك؟ يقول: خَيْرٍ عفاك الله، يريد: بخيرٍ، وقال بعضهم: معناه واتقوه في الأرحام أن تقطعوها"[5].

وبهذا يكون معيار قبول القراءات في ذلك الوقت موافقة العربية وهو موافقة القواعد النحوية واللغوية عامة، وموافقة خط المصحف أما التواتر فلا يعتد به، ويلاحظ على سيبويه أنه لا يتهم القرّاء بالخطأ والوهم وإنما يغض طرفه عن القراءة المخالفة لقواعده ويختار بين القراءات.

---

(1) الأبيات للأعشى، وقيل لعمرو بن معد يكرب، وقيل لخفاف بن ندبة، وقيل لعباس بن مرداس، يقال: قرب الفرس تقريبا أسرع، يقال: فاليوم دنوت مسرعا في هجونا بعد بطئك عنه، ويروي قد بت أي قد صرت تهجونا، فاذهب على طريقتك وإنما سمت اللئام وشيمة الأسام، فلا عجب في ذلك. لمزيد من التفصيل ينظر "الزمخشري، الكشاف، ج1 ص462.

(2) سورة النساء، الآية 1.

(3) النحاس، أبو جعفر محمد بن إسماعيل، إعراب القرآن، ت. زهير غازي زاهد، مكتبة النهضة العربية، ط3، 1409هـ-1988م، ج3 ص431.

(4) العجاج اسمه عبد الله بن رؤبة أحد بني سعد بن مالك بن سعد بن مالك بن سعد بن زيد بن تميم. لمزيد من التفصيل ينظر طبقة فحول الشعراء، ص571، ومعجم الأدباء، ج1 ص150.

(5) ينظر ابن زنجلة، الحجة في القراءات السبع، ص119.

أثر التفسير اللغوي في تأويل القراءات القرآنية عند الأخفش:

ذكرت المصادر "للأخفش" كتبا متعددة منها ما يقوم على دراسة القرآن الكريم بالإضافة إلى كتب أخرى، وكان من هذه الكتب "معاني القرآن وتفسير معني القرآن"[1].

وقد رأى محقق الكتاب "أن المقصود بالتسميتين السابقتين كتاب واحد هو معاني القرآن"[2].

والمقصود بكلمة المعاني هي مناقشة القضايا اللغوية في النص القرآني من إعراب وتأويل وتفسير، فعرض بذلك لكثير من الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية في آيات القرآن الكريم، "وهو في مناقشته للقضايا اللغوية قد يبدأ بالحديث عن إحدى هذه القضايا، وقد يشمل حديثه مناقشة لأكثر من ظاهرة في الآية الواحدة"؛[3].

القراءات عند الأخفش:

يكثر الأخفش[4] من التعرض للقراءات القرآنية عند تفسير كل آية تقريبا، ذاكرا ومحتجا ورافضا ومستحسنا استكمالا منه لمذهبه، الذي يبدو واضحا في كتابه وهو تمثيل القرآن الكريم للغات العرب وسيره على منهاجها في الكلام أي في أسلوبه وتركيباته ومفرداته ومعانيه وقراءاته، ولهذا نجده يصر على إرجاع القراءات الذي ذكره، يمكن أن يلاحظ شروط القراءات المقبولة عند علماء القرآن الكريم الذين اتفقوا على أن "كل قراءة موافقة العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ربطها"[5].

---

(1) ينظر أخبار النحويين البصريين للسيرافي، ص40، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي، ص 72.

(2) الأخفش، معاني القرآن،تقديم إبراهيم شمس الدين،مطبعة دار الكتاب العلمية بيروت ،لبنان،ط1، 1423هـ ،ص12.

(3) علي عيسى شحاتة، الدراسات اللغوية للقرآن الكريم في أوائل القرن الثالث الهجري،دار قباء الطباعة والنشر،دون ط ص91.

(4) الأخفش هو سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي ثم البصري أبو الحسن المعروف بالأخفش الأوسط (ت 215هـ)، نحوي عالم باللغة والأدب وأخذ العربية عن سيبويه وله مصنفات منها: "معاني القرآن" و"شرح أبيات المعاني" و"الاشتقاق" و"معاني الشعر" وزاد في العروض بحر الخبب، وكان الخليل قد جعل خمسة عشر فأصبحت ستة عشر. لمزيد من التفصيل ينظر شذرات الذهب ج2 ص36، ووفيات الأعيان جُ 1ص207.

(5) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر،التصحيح محمد علي الضباع ،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان،دون ط، ص9.

أ- موافقة المصحف:

أصر الأخفش في أكثر من موضع من معانيه على ضرورة موافقة المصحف أو الكتاب، ولهذا رفض بعض القراءات المخالفة له، كإخراج لقراءة قوله تعالى: ﴿**إن هذانِ لَساحِرانِ**﴾[1] وهي قراءة موافقة للمصحف مخالفة لقاعدة نحوية "معروفة عند النحويين وذلك بإرجاعها إلى لغة الحارث بن كعب الذين يجعلون الياء في أشباه هذا ألفا، فيقولون: "رأيت أخاك: ورأيت الرجلان... وغير ذلك"[2]، وبذلك يمكن القول أن الأخفش لا يجوّز القراءة بما يخالف المصحف ولكنه لا يستطيع أن يترك قراءة موافقة له مخالفة للقواعد النحوية بدون تخريج يجعل تلك القراءة موافقة لقواعد المرتضاة التي لها تأثير مباشر على توجيه المعنى في الآيات القرآنية، مع ملاحظة أنه يستحسن المعنى كثيرا في القراءات المخالفة للمصحف مع عدم تجويزه القراءة بها.

ب- التواتر:

يلاحظ الأخفش أنه لا يشترط هذا الشرط لقبول القراءات، ولا يعول عليه قليلا ولا كثيرا، إذ نجده يستحسن القراءتين معا بدون أن يفضل إحداهما على الأخرى لتساوي المعنى فيهما، كاستحسانه لقراءتي الرفع والنصب في "ولباس"[3] من قوله تعالى: ﴿**قَد أَنزَلنا عَلَيكُم لِباسًا يُواري سَوآتِكُم وَريشًا وَلِباسُ التَّقوى ذلِكَ خَيرٌ**﴾[4] لتساوي المعنى فيهما عنده، فيقول: "فرفع قوله: "ولباس التقوى: على الابتداء وجعل خبره في قوله: "ذلك خير" وقد نصب بعضهم "لباس التقوى" وقرأ بعضهم "وريشاً" وبهما نقرأ وكل حسن ومعناه واحد"[5].

بالإضافة إلى المعنى يشترط الأخفش في القراءة تمثيلها لغة قوية من لغات العرب لأنه يعتمد كثيرا على لغات العرب، فيكثر من تكرار قوله: "كل من لغات العرب" أو "هو من كلام العرب" أو قراءة حسنة لم أسمعها من العرب.

---

(1) سورة طه الآية 63.

(2) الأخفش، معاني القرآن، ص249.

(3) قرأ الكسائي والصاحبان وأهل المدينة "ولباس التقوى" بالنصب عطفا على لياس الأول والباقون بالرفع على الابتداء"، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج4 ص185، وينظر البحر المحيط، ج4 ص282-283.

(4) سورة الأعراف، الآية 26.

(5) الأخفش، معاني القرآن، ص191.

ولهذا يرفض القراءة التي تفقد هذين الشرطين كرفضه لقراءة فلتفرحوا بالتاء في قوله تعالى: ﴿**قُل بِفَضلِ اللَّهِ وَبِرَحمَتِهِ فَبِذلِكَ فَليَفرَحوا هُوَ خَيرٌ مِمّا يَجمَعونَ**﴾[1] يقول وقال بعضهم: "**فلتفرحوا**" وهي لغة للعرب رديئة لأن هذه "اللام" إنما تدخل في الموضوع الذي لا يقدر فيه على "افعل" يقول: ليقل زيد، لأنك لا تقدر على "افعل" ولا تدخل "اللام" إذا كلمت الرجل، فقلت "قل" ولم تحتج إلى "اللام"[2].

يلاحظ عليه أنه مع عدم اشتراطه للتواتر لم يقبل القراءة بما لم يقرأ به القراء، حتى لو كان ذلك موافقا لشرطيه السابقين اللذين عول عليهما في قبول القراءات وهما المعنى وموافقة لغة جيدة من لغات العرب.

المعنى الاعتزالي والقراءات عند الأخفش:

إنّ الأخفش الذي يرفض القراءات ويقبلها استنادا إلى المعنى لا يرضى وهو يعتقد عقيدة الاعتزال أن يوافق على قراءة يخالف ظاهرها أصلا من أصولها بالرفض والتأويل.

ولهذا نجده عند تفسير قوله تعالى:﴿**وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ**﴾[3] يرد قراءة "يُطْعَمُ"[4] بالبناء للمجهول[5] وهي قراءة الجمهور لأنها تخالف نفي التشبيه عن الله تعالى، إذ يرى المعتزلة أن الله تعالى لا يشبه البشر ولا يتصف بصفة من صفاتهم ولذا يرى الأخفش قراءة الفعل بالبناء للمعلوم، وإسناد الفعل لله لما في ذلك من موافقة ما يذهبون إليه من نفيهم التشبيه عنه سبحانه وتعالى.

"وذلك لأنّ القراءة بالبناء للمجهول إنما تقال لمن "**يَطْعَمُ**" فيخبر أنه لا يأكل شيئا وعليه فإن هذه القراءة لا تقرأ إلا لاجتماع الناس عليها وليس لما تحويه من معنى"[6].

ويقول الأخفش: "وقال بعضهم: "**ولا يُطْعَمُ ويَطْعَمُ**" وهو الوجه لأنك إنما تقول: "**هو يُطْعَمُ**" لمن يَطْعَمُ، فتخبر أنه لا يأكل شيئا وإنما تقرأ "**لا يُطْعَمُ**" لاجتماع الناس عليها"[1].

---

(1) سورة يونس، الآية 58.

(2) الأخفش، معاني القرآن، ص218.

(3) سورة الأنعام، الآية 14.

(4) وهي قراءة العامة أي يَرزُقُ ولا يُرزَقُ وقرأ يعبد بن الجبير ومجاهد والأعمش وهو يُطْعِمُ وهي قراءة حسنة، أي أنه يَرْزُقُ عباده وهو سبحانه غير محتاج إلى ما يحتاج إليه المخلقون من الغذاء، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج5-6 ص397.

(5) يبني المجهول من المضارع بضم أوله وفتح ما قبل آخره.

(6) بشيرة فرج علي العشبي، أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي، منشورات قان يونس، بنغازي، ليبيا، ط1 1999م،ص 280.

وقال الزمخشري وهو "**يَرْزُقُ ولا يُرْزَقْ**"[2].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿**فَخَشينا أَن يُرهِقَهُما طُغيانًا**﴾[3] فسر قوله "**فخشينا**" بمعنى فكرهنا لأن الله تعالى لا يخشى وإنما الخشية من صفات البشر والمعتزلة ينفون عن الله التشبيه بالصفات البشر، وتوكيدا منه ذلك وإصرارا منه على "تأويل قراءات الجمهور"[4] أوّل قراءة ابن مسعود للآية بقوله: "**فخاف ربك**" لكي لا يستدل بها على توجيه الآية إلى المعنى الظاهر، وهو إسناد الخشية لله تعالى وهي الخوف، والدليل قراءة ابن مسعود السالفة: "فمعناه: كرهنا" لأن الله تعالى لا يخشى، وهو في بعض القراءات فخاف ربك وهي قراءة أبي ابن كعب وهومثل "خفت الرجلين أن يقولا" وهو لا يخاف من ذلك أكثر من أن يكرهه"[5].

– العدل:

ولهذا من الطبيعي نجده يفسر القرآن الكريم وفقا لما يذهب إليه المعتزلة أهل العدل.

وقد التزم الأخفش تأويل الآيات القرآنية التي تنافي ما يذهب إليه المعتزلة مستغلا معرفته باللغة وكلام العرب وتبحره في النحو، فنجده يقلب المعنى النحوي في الآية بحيث تؤيد أصلا من أصول المعتزلة، كقول المعتزلة إن الله تعالى لا يخلق أعمال البشر بل هم الذين يخلقونها، ولهذا يستحقون الثواب والعقاب عليها ولهذا أول الأخفش قوله تعالى: ﴿**وَلا تَقولَنَّ لِشَيءٍ إِنّي فاعِلٌ ذلِكَ غَدًا، إِلّا أَن يَشاءَ اللَّهُ**﴾[6] الذي يدل ظاهره على أن الإنسان لا يفعل إلا ما يشاؤه الله، فقدر الأخفش فعلا محذوفا بعد أداة الاستثناء والمعنى: لا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أنا تقول إن شاء الله"[7].

---

(1) الأخفش معاني القرآن، ص 176.

(2) الزمخشري، تفسير الكشاف، مطبعة دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دون ط، ج2 ص9.

(3) سورة الكهف، الآية 80.

(4) ذكر القرطبي في تفسيره: "هو من كلام الخضر عليه السلام وهو الذي يشهد له سياق الكلام وهو قول كثير المفسرين، أي خفنا"، ج6 ص36.

(5) الأخفش، معاني القرآن، ص 244.

(6) سورة الكهف، الآية 23-24.

(7) الأخفش، معاني القرآن، ص243.

وبهذا التقدير تنفي شبهة إضافة الأفعال إلى الله تعالى، وعند تعرضه للآيات التي يتنافى ظاهرها نفي التشبيه عن الله تعالى نجده يقدر محذوفا ويحكم بالزيادة حتى يثبت أن الله تعالى ليس بجسم ولا يشبه البشر في أي صفة من صفاته، فيرى عند تفسير قوله تعالى: ﴿**فَلَمّا تَجَلّى رَبُّهُ لِلجَبَلِ**﴾[1] أن هناك مضافا محذوفا يصح أن يتجلى للجبل، وليس الله تعالى الذي هو ليس بجسم يتجلى، والتقدير: تجلى أمره، كقول الناس: برز فلان لفلان، والمعنى برز جندة"[2].

كما يفسر قوله: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾[3] بتقدير مجرور محذوف حتى ينفى رؤية الله تعالى والمعنى: إلى ما يأتيهم من نعمه ورزقه ناظرة، أو تنظر في رزقها وما يأتيها من الله، يجعل "إلى" بمعنى "من" وتقدير جار ومجرور محذوفين يتعلق به الفعل ناظرة ويكون معمور له"[4].

ويقول: "في موضع آخر معلقا على هذه الآية: "ولو كاننظر البصر كما يقول بعض الناس كان في الآية التي بعدها بيان ذلك، ألا ترى أنه قال: ﴿**وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ، تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ**﴾[5] ولم يقل ووجوه لا تنظر ولا ترى، وقوله: ﴿**تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ**﴾ يدل "الظن" ها هنا على أن النظر ثم الثقة بالله وحسن اليقين ولا يدلوا على ما قالوا: "وكيف يكون ذلك والله يقول: ﴿**لا تُدرِكُهُ الأَبصارُ وَهُوَ يُدرِكُ الأَبصارَ**﴾[6]"[7]. إضافة إلى موافقة أصول المعتزلة إلا أنه يرفض القراءات التي ظاهرها يخالف أصلا من تلك الأصول، وإذا لم يجد يؤول القراءة بما يعود بها إلى موافقة الأصل المخالف"[8].

الخاتمة

إنّ كتاب سيبويه رحمه الله بما يحويه من الرواية عن أهل التفسير وعلماء اللغة وبتفسير الآيات القرآنية الكريمة، وباستخراجه لمعانيها النحوية، وباستشهاده بكلام العرب وبمنهجه في القراءات وتعامله معها بطريقة

---

(1) سورة الأعراف، الآية 143.
(2) الأخفش، معاني القرآن، ص198.
(3) سورة القيامة، الآية 22-23.
(4) الأخفش، معاني القرآن، ص195.
(5) سورة القيامة، الآية 24-25.
(6) سورة الأنعام، الآية 103.
(7) الأخفش، معاني القرآن، ص195.
(8) بشيرة علي فرج العشبي، أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي، ص288.

تحليلية لآيات القرآن الكريم يجعلنا نقول أنه أول كتاب تفسير للقرآن الكريم بالرأي، يقوم على التأويل الدلالي خاصة أن المفسرين بعده ساروا على منهجه واتبعوا طريقته في تحليل الآيات لغويا وفي الاستشهاد على الاستعمال القرآني بالشعر العربي، وكذا اتبعوا أسلوبه في الحكم على القراءات القرآنية من القول بالحذف والزيادة والقيام بالتقدير للمحذوف، إلا أن السمة الغالبة على الذين جاؤوا من بعده هي التوسع في كل ذلك، إذ الفرق بينه وبينهم وضعوا كتبهم لتفسير القرآن الكريم فتعرضوا للقواعد النحوية من خلال التفسير، وأما سيبويه فقد كان وضعه لكتابه توثيق القواعد النحوية، ولهذا كان تعرضه للآيات القرآنية وتفسيرها عندما يدعو داعي الاستشهاد ولذا لم يتعرض لتفسير القرآن الكريم كله.

– أما الأخفش رحمه الله أول من فتح باب رفض القراءات صراحة والتأويل الدلالي للقراءات القرآنية التي تخالف الأصول العقائدية والقواعد النحوية وعلى ذلك نستدل أن النحاة المفسرين هم الذين فتحوا باب التفسير بالرأي وقالوا بالحذف والتقدير والزيادة والتقديم والتأخير، محكمين القواعد النحوية مفضلين معنى على آخر بناءا على المعنى النحوي في الآيات القرآنية التي مصدرها القراءات القرآنية.

وهذا المنهج الذي نَهَجوه كان حجر أساس متين للتأويل الدلالي القرآن الكريم من قبل الفرق الإسلامية التي استعانته في دعم وتأييد الأصول التي تنادي بها والتي وجدت في القرآن الكريم وقراءاته خير معين.